المحاضرة الأولى: مفهوم المقاربة والنظرية.

يهدف مقياس مدخل لمقاربات الوسائط الجديدة إلى التعرف بالدراسة والتحليل على مختلف المقاربات النظرية التي تتعلق بالوسائل أو الوسائط الاتصالية الجديدة في ظل التكنولوجيات الحديثة والبيئة الرقمية وقبل التطرق إلى مختلف هذه المقاربات، نستهل أولى المحاضرات بمدخل مفاهيمي تخص بعض المصطلحات والمنهجية والمفاهيم النظرية باعتبارها تشكل القاعدة الأساسية لفهم وتحليل مقاربات الوسائط الجديدة للاتصال .وتتضح هذه المفاهيم من خلال ما يلي:

1. **المقاربة(Aproche):** أو الاقتراب كمصطلح شائع التداول في البحوث العلمية السوسيولوجية، في حين أن الترجمة الصحيحة لمصطلح Aproche هو المقاربة، والمقاربة في مدلولها اللغوي كلمة مشتقة من الفعل قارب، يقارب بمعن دنا واقترب وفي تعريف معجم المعاني الجامع مقاربة النص أي النظر فيه وتحليله لمعرفة أوجهه، أما اصطلاحا، تشير المقاربة إلى التقرب من شيء أو مكان او موضوع معين لاكتشافه او التعرف عليه أو دراسته، أي نعني بالمقاربة ويقصد بها الكيفية العامة، أو الخطة المستعملة والتي يراد منها دراسة مسألة، أوحل مشكلة، أو بلوغ غاية معينة، أو هي الطريقة التي يتناول بها الدارس أو الباحث الموضوع، أو هي الطريقة التي يتقرب بها من الشيء المراد دراسته. وقد تم اعتماد هذا المصطلح في البحث العلمي باعتبار المقاربة العلمية هي الطريقة التي يعالج بها الباحث موضوعا ما أو إشكالية عينة تجعله يصل إلى استنتاجات محددة بعد اقترابه من الموضوع بالدراسة والتحليل.

يعرف الدكتور محمد الشلبي الاقتراب او المقاربة بأنه مصطلح يشير إلى المعايير المستخدمة في انتقاء الأسئلة التي تطرح والضوابط التي تضم اختيار موضوعات ومعلومات معينة او استبعادها من نطاق البحث أي انها وسيلة لتحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية والإعلامية ودراستها، وتوضيح جوانبها الأساسية والكيفية التي من خلالها يعالج الباحث دراسته، ويمكن الاستعانة بمقاربة واحدة أو عدة مقاربات في مجال الدراسات الاجتماعية والسياسية والإعلامية.

أما عامر مصباح فيعرف الاقتراب بانه الإطار النظري الذي يؤطر البحث ويعمل بمثابة المنظار أو المبصار الذي ينظر بواسطته الباحث إلى الظاهرة المبحوث فيها وتتمثل الأهمية المنهجية للمقاربة في المساعدة على تأطير جهد الباحث وتفكيره وحمايته من التشتت وفقدان التحكم في أبعاد البحث أو متغيرات الدراسة وتساعد الباحث في تزويده بأدوات البحث التي تستخدم في تحليل الظاهرة المدروسة.

إذن المقاربة هي من المصطلحات القريبة من مصطلح المنهج وتتقاطع معه جزئيا، فهو عبارة عن أسلوب تحليلي يؤخذ كأساس في الدراسة وفي تحليل الظواهر وغالبا ما تستخدم المقاربة في كيفية معالجة الموضوعات أو الاقتراب منها والتي تؤثر بشكل مباشر في اختيار المفاهيم والاستنتاجات التي يسعى الباحث إلى التوصل إليها في دراسته.

إن المقاربة تحمل خلفيات فكرية وثقافية حول المجتمع العملي الذي ولدت فيه، لذا يجب على الباحث الذي يتتبع مقاربة معينة سبقه إليه غيره من حيث الاستخدام، التعامل معها بحذر

والعمل على اختبارها والكشف عن خلفياتها الفكرية والأيديولوجية، ومنه يمكن تقسيم المقاربة إلى مستويين:

أ. اقتراب عام أو مقاربة عامة وكبرى: هذا المستوى يشير إلى تلك المقاربات الكبرى التي تنطبق على كل الدراسات الاجتماعية في عمومها على سبيل المثال المقاربة البنائية الوظيفية التي تعتمد كمقاربة في علم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، علم النفس، والاتصال وغيره.

ب. مقاربة خاصة أو جزئية: يهتم هذا المستوى بتحليل ظاهرة خاصة وواحدة مثل مقاربة ماكس فيبر التي تفسر بها السلطة.

2. **النظرية:** تعدّ النظرية العلمية أحد أهم المفاهيم التي تشكل الأساس لفهم وتفسير الظواهر الطبيعية والاجتماعية وهي عبارة عن إطار فكري متين يستند إلى التجارب العلمية والأدلة الموثوقة حيث تعتمد النظرية العلمية على عملية الاستدلال الدقيق والتحليل العميق للبيانات المتاحة، والوصول إلى فهم دقيق للظواهر المختلفة واستنباط القوانين والمبادئ التي تحكمها، مما يساعد على توقع الأحداث أو تطوير تكنولوجيا جديدة، أو بناء قاعدة للمعرفة والتقدم في العديد من المجالات . (تتقاطع في الحقيقة هداف النظرية وأهداف البحث العلمي: الوصف التفسير، التنبؤ).

النظرية لغة: كلمة مشتقة من الفعل" نظر "الذي يعني التأمل في الشيء والتمعن فيه .إلا أن النظر والتأمل يتعدى الوظيفة الحسية للعينين إلى الوظيفة الفكرية للعقل البشري، في حين يشير مفهوم النظرية في اللغة الفرنسية " Théorie " إلى مجموعة من الأفكار النظرية والقوانين المنظمة التي يمكن إخضاعها للتأكيد عن طريق التجربة العلمية ذلك قصد بلوغ الحقيقة العلمية . **(تعريف معجم لاروس)**

أصطلاحا: هناك من الباحثين من ينظر إلى النظرية على أنها مجموعة قضايا تقوم بتقديم تفسيرات واقعية للظواهر حيث يعرفها **جيبز GIBBS** "أنها مجموعة من القضايا ترتبط فيما بينها في صورة تأكيدات امبريقية تتعلق بخصائص مجموعة محددة من الأحداث والأشياء" ويعرفها باحث آخر(**تيماشيف TIMACHIEV**) "بانها مجموعة من القضايا التي يجب أن تتوافر فيها الشروط التالية:

أولا: ينبغي ان تكون المفاهيم التي تعبر عن القضايا محددة بدقة.

ثانيا: يجب ان تنسق القضايا الواحدة مع الأخرى.

ثالثا: أن توضع في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا.

رابعا: ان تكون هذه القضايا مثمرة وتكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى وتعميمات تنمي مجال المعرفة.

ويذهب فريق أخر من الباحثين على اعتبار النظرية مجموعة من الخطوات المتكاملة، منهم الباحث **ارنولد روس** يعرفها على "أنها بناء متكامل يضمن مجموعة تعريفات وافتراضات وقضايا عامة وتتعلق بظاهرة معينة بحيث يمكن ان نستنبط منها منطقيا مجموعة من الفروض القابلة للاجتياز".

ترتبط التعريفات السابقة بالنظرية العلمية بصفة عامة أما في مجال علم الإعلام والاتصال، تعرف النظرية الإعلامية حسب ماكويل" إدراك كامل وفهم مستنير لحقيقة ما يحدث في وسائل الإعلام بسبب أنشطة المؤسسات الاجتماعية وتغيراتها وتطوراتها." وتعرفها مي عبد الله بأنها المفاهيم التي يتوصل إليها الباحث بناء على ملاحظته أو على التجربة أو مجموعة تجارب، أو حدث او مجموعة من الأحداث.

إن المبدأ العام لمفهوم النظرية العلمية في مختلف الميادين العلمية يرتكز على أن النظرية كتركيب كلي يسعى من خلالها إلى تفسير الظواهر الخاضعة للدراسة ويسلم بفرضياتها القابلة للتحقق أو النفي .فالنظرية إذا هي مجموعة من مقترحات، مدركات ومفاهيم التي يعتمد عليها الباحث لإعطاء نظرة عامة لظاهرة ما، ذلك

من خلال تحديدها للعلاقات بين المتغيرات المتعلقة بالظاهرة المدروسة، بهدف تفسير حيثيات الظاهرة أو التنبؤ بها مستقبلا. وهو الأمر الذي أكده الباحث" موريس أنجلس "في اعتقاده أن النظرية هي إقرار حقيقي لوجود علاقة بين متغيرات الظاهرة مؤكدة إمبريقيا .أي أن النظرية تختلف تماما عن الفرضية رغم أنها تنطلق منها، فالفرضية تبقى مجرد افتراض يساوره الشك والالتباس والغموض، في حين تقطع النظرية الشك باليقين بعد إخضاع الفرضيات للدراسة الإمبريقية وتصل إلى نتائج دقيقة يستند عليها الباحث في دراسات أخرى، وتكون النظرية هنا قد خاضت مسارها من المقدمات إلى النتائج بعد الدراسة والتحليل. انطلاقا من هذا المنظور يمكن القول أن النظرية ممارسة علمية دقيقة تنير مسار الباحث في دراسة الظواهر وتساعده على الانسياب في غموضها وفك تعقيدها بما أتيح له من موضوعية ويتمكن الباحث بذلك من الوصول إلى أجوبة وحلول للإشكاليات المطروحة.

الفرق بين المقاربة والنظرية:

- المقاربة: تتفرع عن النظرية، بحيث أن النظرية تقدم افتراضات عامة (يقصد بكلمة عامة القدرة العالية على التجريد généralisation. لكن المقاربة هي عندما ينشأ حقل دراسي فرعي يقوم أتباع النظرية من دارسين ومنظرين بإنشاء مقاربات جزئية تخص ذلك الحقل الدراسي، مثل أن نقول: النظرية الواقعية في العلوم السياسية، الدراسات الأمنية كحقل دراسي فرعي ومقارباتها (المعضلة الأمنية، النشوئية...) في تفسير النزاعات الدولية.
- تتميز النظرية بأنها معالجة علمية للظاهرة المراد تفسيرها بينما المقاربة هي الكيفية المعتمدة في البحث، فالمقاربة هي اطروحات نظرية لا ترقى إلى درجة النظرية العلمية فهي مجرد مرحلة من مراحل النظرية حيث انها الطريقة او الأساس النظري الذي يعالج فيه الباحث لبلوغ هدف بحثه والإجابة على أسئلته.
- المقاربة ليس لها قدرة على التفسير والتنبؤ بعكس النظريات إلا انها تعد ضرورية لبناء النظريات باعتبارها أداة موجه ومرشد يساعد الباحث على اختبار الفروض وبناء النظريات.